AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

إعادة النّظر في دعوة بعض العلماء إلى تيسير النّحو العربي: دراسة نقدية

[THE RECONSIDERATION OF THE SCHOLARS' CALL FOR SIMPLIFYING ARABIC SYNTAX: A CRITICAL STUDY]

Kazeem Ibrahim

Department of Arabic, Federal University of Kashere, Gombe, Nigeria

Corresponding Author: *ibrahimqasim2@g.mail.com*

Received: 12/3/2024 *Accepted: 18/4/2024* *Published: 31/8/2024*

ملخص

أسهم النحاة القدامى إسهامًا جبّارًا في تطور النّحو العربي ومسائله وقضاياه وأقبلوا على التّأليف والتّصنيف والمختصر ولاسيما الشّروح النّحوية التي زادت على تطور النّحو العربي وتسهيل قضاياه المتعدّدة، فجاء النّحاة المحدثون وثلّة من القدامى وطالبوا بإلغاء بعض القضايا النّحوية التي فصلت علماء القدامى في كتبهم المتطولة والمختصرة نظرًا إلى المشاكل والمعوقات التي يعانيها دارس النّحو من ذلك العوامل كما ورد في كتاب الرّد على النّحاة لابن مضاء القرطبي أول ما بادر إلى هذه الدّعوة واتبعه بعض المحدثين. فالذي يهمّ هذا البحث هو نقاش ونقد آراء هؤلاء العلماء الذين يدعون إلى إلغاء بعض الأقيسية والعوامل المحذوفة، والعلل الثواني والثوالث باسم تجديد النّحو العربي وتيسير مسائله لمتعلميه ولمن كان هذا البحث ضيق النّطاق.

الكلمات المفتاحية: النحاة، القواعد، العلماء، التيسير، التطوير، ابن مضاء القرطبي

Abstract

The ancient Arabic grammarians played prominent roles towards the advancement of Arabic grammar, its issues, and the rules. They focused on authoring, writing, summarization; as well as paraphrasing various Arabic grammar. All these efforts intensified the advancement of Arabic grammar and simplification of its various rules. However, some modern Arabic grammarians and insignificant groups among the ancients came on board and strived to abolish some of the grammar rules which have been vividly explained by the ancient grammarians in their multi-volume book and some summarized

ones by observing some of the problems and obstacles that face the learners of the Arabic grammar and the major causes of these. This was revealed in a book, entitled: "ar-Arddu- Alahn-Nuhat", (A rejoinder on the Grammarians) by Ibn Mudau Al-Qurtabiy. He is the first scholar to open discussion on this advocacy, blessed with some followers among the modern grammarians. Our concerns in this work are to critically discuss the views of these scholars who advocate for the abolishment of Analogies (al-Aqiyas) nullified factors (al-Awaamilul-Mahdhufah) and the second and third causes (al-Ilalul-wath-Thawaniy wath-Thawalith) all in the name of reforming Arabic grammar and simplification of its issues for its learners.

Keywords: *Arabic grammarians, rules, scholars, simplification, advancement of Arabic, Ibn Mudau al-Qurtabiy*

مقدمة

اهتمّ النّحاة القدامى بقضايا أحوال الإعراب وعلاماته متفقين تارة ومختلفين تارة أخرى، منذ نشأة النّحو على يد ظالــم بن عمرو بن سفيان أبي الأسود الدّؤلي، وتطوره على يد أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، غير أنّ اختلافهم في ذلك إمّا أن يكون في تعليل بعض الأحوال الإعرابية والبنائية وإمّا في العوامل اللفظية والمعنوية، فجاء النّحاة المحدثون وطالبوا بإلغاء الإعراب المحلي والأقيسة النحوية، والعوامل المحذوفة والعلل والثواني والثوالث باسم تجديد النّحو العربي وتيسيره، وإن شاء الله تعالى نحلّل في هذه الورقة آراء هؤلاء القدامى والمحدثين في هذه الدّعوة تحليلاً نقديًّا.

مشكلة البحث

قد طال الحديث على الأدوار التي يقوم بــها العلماء القدامى والمحدثون حول دعوة إلى تيسير النّحو العربي منذ أمدٍ بعيدٍ إلاّ أنّ دعواتهم تحتاج إلى دراسة نقدية لنعرف مدى صدق ما يهمنا وما لا يهمّنا في هذه الدّعوة، ولهذا تؤمّل هذه الورقة إلقاء النظرة على تلكم الدعوات الغامضة التي قدّمها هؤلاء العلماء في ميدان النّحو العربي.

منهج البحث

سيعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، ومن ذلك نحاول النّظر إلى دعوات بعض العلماء القدامى والمحدثين إلى تيسير النّحو العربي واستدراك ما لم ينبّه هؤلاء العلماء عليه عن طريق وصف الظواهر النحوية وإعطاء ملحوظات لازمة إذا كانت الدواعي إلى ذلك مع موازنة نقدية حول القضايا النحوية التي يدعو العلماء القدامى والمحدثون إلى تيسيرها.

أهداف البحث

ولهذا البحث أهداف في اللغة العربية بصفة عامة، وفي النّحو العربي بصفة خاصّة، وكان الهدف من إجراء هذا البحث تحقيق النقاط الآتية:

١) إبراز دعوات العلماء القدامى والمحدثين إلى تيسير النّحو العربي وتسليط الأضواء على دعواتهم والأدوار التي قاموا بها في ميدان النّحو العربي.

٢) إظهار للقارئ هذا البحث أنّ أعمال العلماء القدامى والمحدثين في النّحو العربي لــم تتوقف كلّها على التقديس لأنّ الكمال لله الواحد القهّار.

٣) يظهر للقارئ في إطار تصفحه لــهذا البحث نظرات نقدية جاءت من قبل الباحث وكيفية أدائها لــهذه الأعمال الــمهمّة عن طريق تطوير النّحو العربي.

دعوة ابن مضاء القرطبي إلى تيسير النّحو وتجديده

من أشقّ الأمور أن يرود الإنسان طريقًا لم يسر فيه أحد قبله ويشير على أن يتركوا ما ألّفوه ويتبعوه فيه، فربّما استجاب له النّاس فتركوا ما ألّفوه إلى الطريق الجديد، وهنا تكون الشّهرة والخلود!! وربّما سخروا منه، ومن مغامرته، فوقفوا يضحكون منه وهو يقوم بها، ثــمّ نسوه وأغفلوه بعد ذلك، فلا تناله الشّهرة في حياته ولكنّه يبقى خالدًا يكشف خلود الزّمن.

والإمام ابن مضاء المولود بقرطبة سنة (٥١٣هــ)، (Mukram;1965/1384) أحد هؤلاء الرّجال الذين كانت حياتهم ظاهرة لغوية شاذة، وكان من القدامى العلماء الذين دعوا إلى تيسير النّحو العربي بواسطة كتابه الموسوم بــ(الرّد على النّحاة)، والكتاب هو الأثر الوحيد الباقي من كتبه المؤلّفة، ومنه عرف منهجه واجتهاده في دعوة إلى تيسير النّحو العربي، وقد اكتشف منذ فترة قصيرة الدّكتور شوقي ضيف فحقّقه من نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم (٣٧٥ تيمور) وقد قام المحقّق بعرض ما في الكتاب في مقدّمة طويلة، ثــم دعى إلى الإصلاح مستلهما في ذلك آراء الكتاب، (EID; 2002/1427) ويظهر ذلك في قوله: منذ نحو خمسة وثلاثين عامًا عثرت في فهرس المكتبة التّيمورية بدار الكتب المصرية على الكتاب الموسوم ـ(الرّد على النّحاة)، لابن مضاء القرطبي، فطلبته للاطلاع عليه، وإذا هو مخطوطة مليئة بالتصحيف والتّحريف غير أنّ طرافة موضوعها أغرتني بتحقيقيها ونشرها، إذ زادت ابن مضاء فيها ثائرا على فطرته العامل في النّحو ثورة عنيفة، وعكفت عليها وأصلح تحريفًا وأصحّح تصحيفاتها، مستعينًا في ذلك بأصول النّحو وأمّهاته المطبوعة والمخطوطة مما أشار ابن مضاء في كتابه، وما لم يشر إليه حتّى استقامت نصوصها (al-Qur'taby;1947.).

بناء على هذا، وابن مضاء يدعو إلى إلغاء بعض المسائل النّحوية، التي يظنّ أنّــها من أسباب عسر النّحو العربي على وجه نظريته، وفيه يهاجم بقوة نظرية العوامل والمعمولات في النّحو داعيا إلى إلغائها حتّى يتخلّص النّحو من كلّ ما دخل عليه من تأويل لظاهر الصيغ العربية ومن علل وأقيسه احتمالية وتمارين افتراضية، ويضيق ابن مضاء إلى قضية الاشتغال والتّنازع الجديرين بالحذف من النّحو العربي.

وعلى هذا النّحو يوضح ابن مضاء –على ضوء مذهب الظّاهرية المتمسك بظاهر النّصوص– ما ينبغي من إلغاء نظريّة العوام والمعمولات في النّحو لكثرة تأويلاتها وتقديراته في صيغ العبارات، ولأنّــها تحرّفها عن وجودهما الظّاهرة الصّحيحة، ويمضي فيوجب– مستضيئًا بالمذهب الظّاهري، إلغاء العلل من النّحو، ما ألّفها الظّاهرية في الفقه، ويثبت ابن مضاء في كتابه إذ في النّحو عللاً أولى وثانية وثالثة، ويرتضي إبقاء العلل الأولى التّعليمية التي تفيد الحكم النّحوي، ويرفض ما عداها، ويمثل للعلّة الأولى بقول النّحاة: إنّ كلّ فاعل مرفوعٌ وهي علّة توضح أنّ حكم الفاعل الرّفع، ولا بأس لها، بل لعلّها ضرورية غير أنّ النحاة لا يكتفون بها، بل يأتون بعلّة ثانية لبيان السّبب في رفع الفاعل، فيقولون: إنّه رفع للفرق بينه وبين المفعول، ولا يكتفون بهذه العلّة الثانية، إذ يأتون بعلّة ثالثة لبيان السّبب في أنّ الفاعل رفع ولم ينصب، وكان يبقى أن يعكس الحكم الإعرابي، فينصب الفاعل ويرفع المفعول، حينئذ يدلّون بالعلّة الثالثة قائلين أن الفاعل رفع لأنّه قليل وينصب المفعول لأنّه كثير، ولما كان الرّفع ثقيلا والنّصب خفيفًا أعطى الثّقليل للتعليل وأعطى الخفيف للكثير ليتمّ التّوازن، وواضح أنّ العلّة الأولى التي تصور الحكم النّحوي هي الصّلة التي يحتاجها متعلّم النّحو حتّى يقف على الحكم الإعرابي للفاعل، أمّا العلّتان الثانية والثّالثة، ففرضيتان تقومان على مطلق الظّن والتّحمين، ولا ضرورة لها في تعلّم النّحو.

وابن مضاء يثير ثورته عفيفة على هذه العلل الثّواني والثّوالث ويدعو إلى إلغائها جملة من كتب النّحو العربي، لأنّــها تفيد سوى التّخيل والعرض العقلي البعيد دون أي تصحيح للنّطق ومن يتّصل بالنّطق، وبجانب هذا، دعاء أيضا إلى إلغاء الأقيسة والعلل في النّحو، ثــم دعى إلى إلغاء التّمارين غير العملية التي يفترضها النّحاة افتراضًا دون أن تفيد أي فائدةٍ في النّطق بالعربيّة.

ثــمّ طالب ابن مضاء أيضا بتحطيم التّقدير في العبارات والتّخلص من الأقيسة والعلل والثّواني والثّوالث ونبذة التّمارين غير العمليّة كما دعا إلى إلغاء كلّ ما لا يفيد نطقًا كالاختلاف في علّة لرفع الفاعل ونصب المفعول به، وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الاشتغال والتّنازع.

ومهما يكن من أمر، فابن مضاء كان شجاعًا في مبادرة تأليفه ودعوته منذ أمد بعيد، ولكن هذه الدّعوة الخيرة، بقيت صرخة في واد، ولم تلق حظّها من الدّراسة أو الاستجابة مدة تقرب ثمانية

قرون كان العقل العربي خلالها عقيمًا يجتر شروح الأقدمين خاصّة في مجال النّحو والفقه، (Hawmadi (1);1992/1412).

دعوة إبراهيم مصطفى إلى تيسير النّحو وتجديده

في أوائل هذا القرن هبت رياح النّهضة على أمّتنا فتحرّكت لتجدد نفسها بتجديد عقلها وفقهها ولغتها وعلومها، ولتلحق بركب الحضارة العالمي، الذي بحث الخطى بسرعة متزادية واتّجهت هم المدعوين المحدّثين إلى تيسير النّحو العربي من جديد، ومحاربة التّخلفة، وكان للأستاذ إبراهيم مصطفى شرف المبادرة إلى استئناف العمل وما دعا إليه ابن مضاء، فألّف في النّحو كتابًا نشره عام (١٩٣٧م)، أطلق اسما غير مألوف، ألا وهو كتاب الموسوم بـ(إحياء النّحو)، (Hawmadi 1992/1412;(2))وفي هذا الكتاب يلتقى فيه ثورة ابن مضاء على نظريّة العامل في النّحو والدّعوة بقوّة إلى إلغائها بقول: لن تجد هذه النّظرية من بعض سلطانها القديم في النّحو، ولا سخرها لعقول النّحاة، ويلتغى الأستاذ إبراهيم مصطفى أيضا في كتابه بابن مضاء في تكراره القول بأنّ النّحاة بالتزامهم نظرية العامل أضاعوا العناية بمعاني الكلام ودلالته، ومرّ بنا كيف ابن مضاء صدر ذلك في نصب المضارع بعد فاء السّببية وواو المعية وإنّ الفعل بعدهما ينصب للدلالة على معنى لا سبب عامل مضمر أو مقدر هو "أن المصدرية" وبالمثل يرفع ويجزم لدلالة على معان أخرى فليس مدار حركات الإعراب العامل أو العوامل، وإنّـما مدارها الدّلالة على المعاني المختلفة في نفس المتكلّم.

ثـمّ حاول إبراهيم مصطفى بعد إلغائها لنظرية العامل في النّحو أن يضع له بناء جديدًا، أقامه على حذف الفتحة من علامة الإعراب والإبقاء فقط على الضّمة والكسرة، أم الضّمة فقال إنّـها علم الإسناد وجمع نحت لوائها المبتدأ والفاعل ونائبه، واسم كان ويعقد إبراهيم مصطفى فصلاً للعلامات الفرعية في إعراب الأسماء السّتة في مثل –أبوك٠أباك، أبيك- وجمع المذكّر السّالم في مثل –الزّيدون- الزّيدين- ويثبت إبراهيم مصطفى إلى أنّ الواو والألف والياء في الأسماء السّتة ليست علامة فرعيّة للأعراب وإنّما هي مدّ وإشباع للضّمة في الفتحة والكسرة السابقات لها، والإعراب إنّما هو تلك الحركات الممدودة، وطبق هذه النّظرية أيضا على جمع المذكّر السّالم، والواو في حالة الرّفع إشباع الضّمة السابقة لهذا، والياء إشباع للكسرة السابقة لها أيضا في حالتي النّصب والجرّ.

ويفتح الأستاذ إبراهيم مصطفى فصلا لدراسته التوابع ويبدأ فيه بالحديث عن العطف، ويذهب إلى أنّه ينبغي إذ يخرج من باب التّوابع لأنّه ليس مثل النّعت والتّوكيد والبدل مكمل لها قبله ولا كالمكمل. وعلى هذه المسألة: حاول الأستاذ إبراهيم مصطفى أن يقيم للنّحو بناء تجديده ودعوة إلى تيسيره وبهذه الفكرة والدّعوة وموقفه من العلامات الفرعية في الإعراب ومحاولة إلغائها

أثر فيمن جاؤوا بعده وخاصة لدى المحدثين وإن خالفوه في التوجيه، (Dayf; biduni ta'arihk) لأنّ أغلب دعوته لا تضيف تيسيرات إلى النّحو العربي، إنّـما تضيف تعليلات وافتراضات جديدة وبعيدة، يزاد غموضا وتعقيدًا وتعسيرًا وصعبًا للنّحو العربي من حيث إذ أكثر نظريته تميل إلى تفكير الفلاسفة والمتكلمين، ولذلك أصدق طه حسين المتوفى (١٩٧٣م)، (Dayf; 1961)في المقدمة التي قدم فيها هذا الكتاب وقال فإذا هو يردّ تفكير النّحويين إلى تفكير الفلاسفة والمتكلمين، (Mustapha; 1937).

دعوة شوقي ضيف إلى تيسير النّحو وتجديده

من المعروف أنّ شوقي ضيف كان من العلماء المحدثين الذين أخرج كتاب ابن مضاء القرطبي من حيز العدم إلى حيز القراءة من حيث حقّق هذا الكتاب وصحّحه ليستفيد الأجيال القادمة ولاسيما طلاب اللغة العربية وآدابها في ربوع أنحاء العالم، بناء على هذا بذل شوقي ضيف بعض المحاولة وحسن المبادرة على تيسير النحو العربي ودعوة إلى نظرية جديدة في النحو العربي.

ويستحقّ الأستاذ الدّكتور شوقي ضيف التّقدير على سلسلة كتبه ودعوته التّجديدية في النّحو العربي، ونخصّ بالذّكر منها: الموسوم بـ(تجديد النّحو) والذي قلّد لابن مضاء في الدّعوة كما أثبت في المقدّمة ذلك الكتاب، قال: كان نشري لكتاب (الرّدّ على النّحاة) لابنا مضاء القرطبي سنة (١٩٤٧م)، باعثا لي –منذ تحقيقه – على التّفكير في تجديد النّحو العربي بعرضه عرضًا على أسس قويمة تصغيه وتروّقه وتجعله ذات القطوف للناشئة، وقد رأيت ابن مضاء يهاجم نظرية العامل في النّحو، وكلّ ما اتّصل بها من كثرة التّقدير للعوامل المحذوفة وكثرة العلل والأقيسة مما أحاله إلى ما يشبه شباكًا معقدة، وكلّما تخلّص دراسة من إحدى تعثر أخرى فصلا عن شباك التمارين الافتراضية، وربّما كانت حلقات نسيجها أكثر ضيقا وأكثر هذه الشّباك لا تدعو إليه خاصّة لسانية في تصحيح النّطق بالكلام (Dayf 1990).

ثـمّ أتبعه كتابه الموسوم بـ(تيسيرات لغوية)، الذي نشره عام (Dayf 1990). وقال في مقدمة هذا الكتاب: هذه تيسيرات في جوانب من استعمالات اللغة وقواعد العربية، رأيت إذا أعرضها على الكتّاب والقرّاء، حتّى أنحّى عن طريقهم ما قد يظنونه إزاء بعض الصّيغ من انحراف عن جادّة العربية وقواعدها السّديدة، والصّيغ والاستعمالات في الكتاب موزعة على ثلاثة أقسام.

١) قسم يتناول بعض القواعد تصحيحًا وتبيّنًا.
٢) قسم يتناول بعض تعبيرات يظنّ إذ بها شوبًا من خطأ وهي برئية منه.
٣) وقسم يعرض بعض ألفاظ دارجة تمّت إلى الفصاحة بعرق أصيل(١٩٩٠م).

وبإمعان النّظر إلى هذين الكتابين دلالة واضحة إنّ شوقي ضيف من العلماء الذين لهم تأثر مع ابن مضاء القرطبي في دعوة إلى تيسير النّحو وتجديده ولذلك قدّم سلسلة كتبه التي تدلّ على اهتمامه بالدّعوة.

دعوة علي نائبي سويدي إلى تيسير النّحو وتجديده

وعلى هذه الدّعوة شارك المرحوم البروفيسور علي نائبي سويدي المحاضر بقسم اللغة العربيّة جامعة بايرو، كنو نيجيريا، المتوفى (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، .(Ibrahim; 2017/1438)).

وركز جهوده ودعوته على اندماج بعض الأبواب النّحوية على البعض بدون حذف وإلغاء نظرية العلل الثواني والثّوالث في النّحو والقياس، والتّمارين غير العملية، وأثبت ذلك في كتابه الموسوم بـ(صور من أسباب مشاكل النّحو العربي دراسة وتوجيه)، وقال الانصراف عن نظرية العامل هو الأصل الذي ينبغي أن نعتمد عليه في تصنيف النحو تصنيفًا جديدًا، فنحن في هذا التصنيف الجديد لا نهتم بالعوامل وما يـمت إليها بصلة، وهذا يختم علينا أن نقوم بتنظيم أبواب النحو تنظيمًا جديدًا لايقوم على فكرة العمل والعامل، وإنّما يقوم على أساس المجاسنة بحيث تجمع في الباب الواحد أحواله المختلفة، فمثل أبواب نواسخ المبتدأ والخبر أمثال كإنّ وأخواتها، وأفعال المقاربة تجمعها في باب واحد، لأنّنا ما دمنا قد ألغينا نظرية العامل فلا بدّ إذن أن نلغى الأبواب التي تقوم على أساسها غاية ما في الأمر أنّنا لا نخرجها من كتب النّحو بل نجمعها في الأبواب الأخرى المناسبة لها (Suwaydi; 2008/1429). ويجدر بنا إنّ نظرية الأستاذ علي نائبي سويدي في تيسير النّحو واتجاهاته في الدّعوة تختلف اختلافًا يسيرًا عن دعوة ابن مضاء ومصطفى إبراهيم وشوقي ضيف وأتباعهم من المحدثين، لأنّه لـم يدع إلى حذف وإلغاء وإنّـما دعوته تنحصر على النّحو التالي:

١) نظرية في إعصار جمع مفردات اللغة العربيّة في قبائل محدودة.

٢) رأية في ضمّ اللفق إلى اللفق في التّبويب النّحوي.

٣) توجيهه الوجيه في إعادة تصنيف أفعال المقاربة.

٤) مقياسيه الجديد لتقسيم الجملة العربيّة في الفعلية والاسمية.

٥) دراسته القواعد النّحوية من آي القرآن الحكيم.

هكذا وجّه الأستاذ علي نائبي إن الأبواب النّحوية المبعثرة هنا وهناك في كتب النّحو العربي في مصنّفات النّحاة القدامى جديرة وصالحة وكفيلة بأن تنسق وترتب وتبوّب على نظام ضم المجموعة إلى المجموعة بعينها.

وبيّن أنّ عمد الكلام العربي "المبتدأ" و"نواسخ الابتداء" من "كان وأخواتها، وأفعال القلوب" والتّحويل بتبويب على رأي أستاذنا الرّاحل في زمرة واحدة، ثـمّ ذكر أنّ الفضلات من المفعول به، المفعول المطلق، المفعول له، المفعول فيه، ما بني من الظّروف، المفعول معه، المستثنى، الحال، التمييز، ونواصب المضارع، يضمّ مجموعها إلى المجموع، وارتأي أنّ المجرورات وما حمل عليها من المجزومات وحروف الجر، وما فيها وحروف القسم الجارة، والإضافة والجوازم وحروف المعاني غير العاطفة ونوني التّوكيد، تنسق وتنظم كالعلق النّفيس على جير النّحوي المحقّق.

وأضاف علي نائبي أنّ العوامل مثل: إعمال المصدر وإعمال اسم المصدر وإعمال اسم الفاعل وإعمال أمثلة المبالغة وإعمال اسم المفعول وإعمال الصّفة المشبهة باسم الفاعل وإعمال أفعال التّفضيل وإعمال أسماء الأفعال وإعمال الظّروف والمجرور والتّنازع في العمل والاشتغال، كلّها في مكان واحد، وأكّد نائبي سويدي أنّ النّعت وعطف البيان والتّوكيد والبدل، وحروف العطف وتوابع مخصوصة كلّها تدرس في مجموعة بعينها للتنسيق والمنهجية والسّلسل المتطبقي.

ونادى بأن يضمّ لفق أبنية الفعل المجرّد والمزيد وأبنية المزيد فيه وتصاريف، والمضارع والمزيد فيه وبناء الأمر وبناء المجهول وبناء المزيد فيه وأبنية مصادره وبناء المرّة وأبنية اسم الآلة والتأنيث وأبنية المقصور والممدود وأبنية التّكسير والتّصغير والسّبب والإمالة والوقف والتقاء السّاكنين بأسرها تجمع وتضمّ وتبوّب حسب ما يقول البروفيسور علي نائبي سويدي في مجموعه بعينها (Darma;2009/1431). ومهما يكن من أمر، فقد نهج على أثر هؤلاء المدعووين المذكورين علماء عظماء من المحدثين الذين أدلوا بدلائلهم في عمبلة التّجديد وتيسير النّحو العربي، وألّفوا كتبًا عديدة في الدّعوة نذكر منهم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، الدّكتور أحمد عبد السّتار الجواري، الذي نشر عام (١٩٨٤م)، كتابه الموسوم بـ(نحو التّيسير) وانتقد النّحاة القدماء بأنّهم عنوا باستخراج القاعدة النّحوية من كلّ وصل إليه عملهم من كلام العرب شعرًا أو نثرًا، فكثرت القواعد وتشعّبت شعبًا شتّى، وكذلك الدّكتور مصطفى جواد الذي ألقى سلسلة من المحاضرات في معهد الدّراسات العربيّة العالمية بالقاهرة، عام (١٩٥٤م) عن "المباحث اللغوية في العراق" قال فيها، ومشكلة نحو العربيّة وصرفها متنوعة ومتفرعة، فأوّل فروعها الجمود وعد الإبداع. وتعنى بالجمود أتباع القدماء النّحاة في سرد القواعد من غير عرضها عن كلام العرب والتزام أقوالهم كأنّها مما يحرم فيه الاجتهاد ولا يجوز التّعليق عليه (Hawmadi;(1), 1992/1412).

وكذلك الأستاذ الدّكتور عبد الرحمن أيوب في كتاب المعنون بـ(دراسات نقدية في النّحو العربي) الذي نشره عام (١٩٥٧م)، والأستاذ الدّكتور مهدي المحزومي الذي نشر كتابه الموسوم بـ(النحو العربي نقد وتوجيه)، والدّكتور أحمد الدّرويش الذي نشر كتابه عام (١٩٩٩م)، الموسوم بـ(إنقاذ اللّغة من أيدي النّحاة)، وغيرها من الكتب التي أصدرها العلماء المحدثون في تيسير النّحو العربي وتجديده.

هكذا تتابعت الدّعوات والدّراسات النّحوية لدى العلماء القدامى والـمحدثين، وسلكت الأمم المتطورة مسلكًا مخالفًا، وظلّت تنظر في قواعدها النّحوية مستقلّة من تيسير إلى تيسير حتّى أقامت بعض المؤتمرات حول هذه الدّعوة، ففي (١٩٥٦م) عقد في دمشق مؤتمران اثنان:

الأول: المؤتمر الثاني للأدباء العرب، والثاني: المؤتمر الأوّل للجامع العربية، التي كانت موجودة إذ ذاك، وهي مجامع القاهرة "وبغداد ودمشق، وكان المؤتمران يضمّان بكلّ رفق وإكرام، والقمم الأدبية واللّغوية في العالم العربي، فقد شارك فيهما من سورية مصطفى الشّهابي وخليل مردم وشفيق جيري وحسني سبح وشكري فيصل، وجميل وسامي الدّهان، وحضر من مصر طه حسين، ومنصور فهمي وإبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزايات، وجاء من أرض الرّافدين محمد بهجتْ الأثري، وجواد علي، ومصطفى جواد، وكان بين المدعوين من الأردن ناصر الدّين الأسد، ومن لبنان محائيل نعيمة، وكان من حضور المؤتمرين، مدعوون آخرون، معروفون بعلو مقامهم في علوم اللّغة العربيّة وآدابها الذين ساهموا مساهمة كبيرة في إبداع آراء في تيسير النّحو العربي وتجديده كما أثبت ذلك الأستاذ شكري الفوتلي أهمية هذا المؤتمر وغايته في كلمة افتتاحية، وقال: و"اذكر أنّني أثرت في خطاب الافتتاح موضع الحاجة إلى تبسيط قواعد النّحو وتسهيل مفاتيح الصرف... الذي يشتكي منها كثيرون من أبناء الأمّة العربيّة، ولست أبرئ نفسي من هذه الشّكوى" (Ibrahim; 2020/1442).

وبإمعان النّظر إلى هذه الأقوال المعروضة تدلّ دلالة واضحة أنّ بعض علماء منذ أمد بعيد يحاولون محاولة على دعوة تيسير النّحو العربي ولا يعفى النّاطقين اللغة العربية من المحدثين من هذه الشّكوى حول دعوة لتيسير النّحو العربي وتجديده.

تعليق نقدي على دعوة علماء إلى تيسير النّحو العربي وتجديده

وواضح أنّ ثورة ابن مضاء القرطبي وإبراهيم مصطفى وشوقي ضيف وعلي نائبي سويدي وثلّة من تابعيهم من الأكاديميين العرب وغير العرب في النّحو العربي تفتح عقول المتخصّصين في النّحو العرب أنّ محاولتهم بعيدة عن الأفكار السّليمة، والآراء الصّحيحة، ولـم تكن إلاّ بتزيد تعقيدًا وعسرًا وأضعف صعبًا للنّحو العربي، ولـم نكن معهم في آرائهم، لأسباب منها:

١) فيما نعلم أنّ ابن مضاء القرطبي وإبراهيم مصطفى وشوقي ضيف، ليسوا متخصّصين في النّحو العربي، فابن مضاء فقيه على مذهب الظّاهرية، وأهل الظّاهر يرفضون القياس في الفقه بناء على نظريتهم التي سبقت، فهم لا يعترفون إلاّ بالنّص فقط، وقالوا: كما جاء في الأحكام – لا يجوز الحكم البتة في شيء من الأشياء كلّها- إلاّ بنص كلام الله تعالى، أو بنص كلام النّبي أو بما صحّ عنه من نصّ أو إقرار. إجماع من جميع علماء الأمّة كلّها متيقن أن قاله كلّ واحد منهم دون مخالف من أحدهم.. والاجتماع عند هؤلاء راجع إلى توفيق من رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- ولا بد ولا يجوز غير هذا أصلاً.

وبمعاودة النّظر إلى ما سبق يتّضح أنّهم يعترفون بالنّص فقط، ولا قياس لأنّه ليس بنص ولا إجماع، ولذلك يقف ابن مضاء عند ظاهر النّص، ويرفض القياس وأراد أن يطبقه على النّحو العربي كما يلخصه هذه العقيدة بقوله:

ألــم تر أني ظاهر وأنّني ❊❊ على ما بدا، حتّى يقوم دليل

٢) وعلماء النحو من أصحاب القياس، ويرى أصحاب القياس النّظر في الأمور التي بــم يرد فيها نصّ ولا إجماع ويقيسونها على ما ورد فيه عندهم نصّ أو إجماع لا تفاقهما في العلّة ويحكمون للأمور المقيسة بــما حكم به لــما قيست عليه، وقالوا: في تأييد ذلك/ إنّ النّاس محتاجون إلى القياس، وذلك لأنّ مسائل ونوازل تردّ ولا ذكر لــها في نصّ كلام الله تعالى ولا في سنّة رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- ولا أجمع النّاس عليها، فنظر إلى ما يشبهها مما ذكر في القرآن أو السّنة ليقيس عليها (2) ;(EID 2002/1427)

٣) نلاحظ أنّ هؤلاء المدعوون إلى تيسير النّحو العربي وتجديده لا يعرفون أنّ للنّحو جانبين:

الأوّل: جانب عملي تطبيقي يحتاج إليه كلّ فرد حين كتابة أي مقال أو إلقاء كلمة أو خطبة كما يسلم من اللّحن والوقوع في الخطأ النّحوي، وهذا الجانب يتناول عددًا من الأبواب النّحوية المهمّة التي يحتاج إليه كلّ متحدّث، وهذه الأبواب سهلة الفهم قليلة العدد.

الثّاني: جانب عملي دقيق، الغرض منه التّوسّع في دراسة جميع الأبواب النّحوية وفروعها، وهذا ميدان كبار الباحثين والمتخصّصين في النّحو العربي، ولعلّ عدم الذّوق النّحوي للدكتور شوقي ضيف وابن مضاء ومصطفى إبراهيم، مما يسبّب هذه الدّعوة الصّعبة، ودكتور شوقي ضيف كاتب مشهور في الأدب العربي ونقده، وابن مضاء كان قاضيًا للقضاة للدولة الموحّدين على

مذهب بن حزم الظّاهري (المتوفى ٤٥٦هـ)، ومصطفى إبراهيم كان صحافيا، وليس الأوّل تجربا ولا الثاني، ولا الثالث، ولذلك نجد دعوتهم وأفكارهم شاذة وآراؤهم في القضايا النّحوية بعيدة عن المنهج السّليم.

٤) قلّة فهم فلسفة وضع القواعد النّحوية عند كثير من النّحاة المحدثين أو المعاصرين، وعدم إدراك الفرق بين تيسير النّحو أوتسهيله أو توضيحه أو تقريبه أو تجديده، وبين إحيائه للذين يدعون إلى تيسير النّحو، وكثير من الذين ساهموا في تيسير النّحو العربي من القدامى أو ثلّة من المعاصرين الذين فهموا علماء النّحاة القدامى لا يقصدون به تغيير بنائه من جديد ولا إنقاذ أبواب النّحو من الفناء.

٥) عدم إدراك توامة القواعد النّحوية مع أساليب اللّغة العربيّة، بحيث لا يمكن تعبير القواعدمع بقاء تلك الأساليب على صورتها الأصلية(Khaild;2013)

٦) وبنسبة إلى هؤلاء القادحين وآرائهم نعنى بهم الذين وقفوا في وجه النّحو العربي بالمرصاد وأرادوا أن يجعلوا من العامية مركبًا سهلاً للتدمير أو التطوير أو التّيسير كما يزعمون، ووجدوا الطّريق معبّدًا في ثورة ابن مضاء القرطبي في كتابه "الرّد على النّحاة" مع اختلاف شديد بين الثّورتين إن جاز التّعبير لذلك.

فثورة ابن مضاء القرطبي على الزّعم من تاثيرها بجاذبية الظّاهرية إلاّ أنّــها لا تدعو إلى طرح النّحو العربي جملة وتفصيلاً، وإنّــما تسعى إلى تلخيص النّحو من بعض الشّوائب التي علّقت به كالعلل الثّواني والتّمارين غير العملية.

وأمّا ثورة القادحين فتحاول اقتلاع العربيّة من جذورها وهدمها بكلّ معاول الهدم مصريين ذلك بدون حياء ولا خجل، قائلين إنّ اللغة غير قادرة على أن تتحدّى اللغات المعاصرة، وإنّ عدم قدرة العربيّة لإثبات وجودها في عالم اليوم، إنّــما هو نتيجة اعتمادها على أصول وقواعد في النّحو والصّرفي منذ القدم، ولكي تكون اللغة العربية معاصرة وحيّة لابدّ من أن تتحقّق كثير من قواعد النّحو بأن يتساهل في قواعد الإملاء، وأن يتساهل في قواعد الصّرف، والذي يقف خلف السّتار ويحرك هؤلاء الأراجيز من هذه الفتنة هم المستعمرون ودعاة الاستشراق (Sulayman; 1433/2012)(1)

٧) نلاحظ أنّ هؤلاء المدعوين يعتمدون على منهج القواعد الغربيّة، وقواعدها وتوكّلوا على آراء المستشرقين، وأعداء اللغة العربيّة، أمثال: وليام سبتا، وليام ولكركس، والمستشرق ماستبوس، وأمثالهم من الذين نادوا الضروري التّخلي عن الإعراب الذي يشكل صعوبة يانعة في تعليم اللغة العربية لأنّ إهمال الإعراب ييسر تعلّم العربيّة

على الأجانب ويكون الوقت نفسه تجديدًا لمؤسّسة المجتمع (Sulayman; 2012/1433(2)).

ففي سبيل تسهيل تعلّم العربيّة للأجانب، ينبغي أن نترك قواعد اللغة العربية حسب المراجع الشّخصية للأجانب، وهو كلام لا يرضى به عاقل(Sulayman; (3)2012/1433).

٨) ونستغرب كلّ الاستغراب عند ابن مضاء وإبراهيم مصطفى وشوقي ضيف عن دعوة حذف قضايا الاشتغال والتّنازع في النّحو العربي، ويظهر ذلك في كتبهم، وقال إبراهيم مصطفى: من المواضع التي ردّد النّحاة فيها الحكم بين النّصب والرّفع باب الاشتغال، وهو باب دقيق عويص وعر النّحاة فيه البحث وأكثروا الاختلاف (Mustapha; (2) 1937).

وهذه الدّعوة أظهرت لنا عدم تمكّن هؤلاء في النّحو العربي ولاسيما ابن مضاء الذي ينتسب نفسه إلى المذاهب الظّاهرة والنّصية، أو لــم يكن نصّ القرآن الكريم مليئًا بأساليب الاشتغال والآيات الشّاهدة على أوجهه المختلفة، ومصداقه قوله تعالى: "فقالوا أبشرًا منّا واحدًا نتبعه إنّا إذا لفي ضلال وسعر" (القمر، الآية:٢٤)، وقوله تعالى أيضا: "وأمّا ثمود فهديناه فاستحبّوا العمى على هدى فأخذهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون" (فصلت، الآية:١٧)، وقوله تعالى تعالى أيضا: "والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون" (النّحل، الآية:٥)، وقوله تعالى أيضا: "إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر" (القمر، الآية:٤٩)، وقوله تعالى أيضا: "وكلّ شيء فعلوه في الزّبر" (القمر، الآية:٥٢).

ولعلّ هواهم وتأثيرهم بآراء المستشرقين مما أغشاهم حتى لا يرون قضايا الاشتغال في القرآن الكريم الذي هو المصدر الأوّل المتّفق عليه في تقعيد النّحو العربي على الإطلاق، وعلاوة على ذلك، دعوا دعوة الحذف والإلغاء في قضية التّنازع (al-Qur'taby;(2) 1947).

والتنازع عند علماء النّحاة ما يسمّى أيضا باب الإعمال وحقيقته أن يتقدّم فعلان متصرفان، أو اسمان يشبها بهما أو فعل متصرف وأهم بشببهه ويتأخر عنهما معمول غير سببي مرفوع، وهو مطلوب لكلّ منهما من حيث المعنى (Hisham;1974/1394).

والقرآن الكريم شاهد على هذه القضية في مثال الفعلين ومصداقه قوله تعالى: "ءاتوني زير الحديد حتّى إذا ساوى بين الصّدفقين قال انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال ءاتواني أفرغ عليه قطرًا" (الكهف، الآية:٩٢). ومنه قوله تعالى أيضا: "فأمّا من أوتي كتابه بيمنه فيقول هاؤم اقرءو كتابيه"، (الحاقة، الآية ١٩).

أو لــم يكن القرآن دليلا أنّه أصل من أصول الاستشهاد في اللغة والنّحو لأنّه كتاب الله المنزّل على نبيه في أسلوب عربيّ.

ويجدر بنا أن نختم هذه الدراسة النّقدية بنظرية علي نائبي سويدي في تيسير النّحو لأنّ اتجاهاته تختلف عن دعوة ابن مضاء وأتباعه، لأنّ لم يدع إلى حذف وإلغاء وإنّــما دعوته أيضا تتزايد تعقيدًا وتفسير للنحو العربي لمن له ذوقي نحوي وطول الباع في هذا الميدان ونرى أن رأي الأستاذ علي نائبي سويدي في ضمّ اللفق إلى اللفق في التبويب النّحوي يجعل النّحو صعبًا في عدم انسجام الأبواب النّحوية كما رتّبها النّحاة القدامى في مصنفاتهم المختلفة، ونسأل ما هي العلاقة نواصب المضارع مع الفضلات النحوية، حتّى نضمّها في زمرة واحدة كما نسأل أستاذنا علي نائبي سويدي ما هي علاقة وتناسب قضية التّنازع والاشتغال مع العوامل كلّها، حتّى يقول علي سويدي أن نبوّبها في مكان.

والعجيب، أو لــم يعرف علي نائبي سويدي أنّ أفعال القلوب والتّحويل تختلف عن كان وأخواتها، وإنّ أخواتها، ولاسيما المبتدأ والخبر، من حيث العمل والمعنى، وبحسب رأي الباحث فإنّ علي نائبي سويدي يخلط المسائل النّحوية اختلاط فلسفيًا، ويقدم المسائل النّحوية العويصة ويؤخّر السّهلة يقدم العريقة بل يصنّف تصنيفًا لا منهجيًا قويمًا في النّحو العربي.

وبإمعان النّظر فيما قدّمه النّحاة القدامى من تصنيف الشّروح لكلّ الكتب المتطولة أو مختصر مسألة من المسائل النّحوية، يوضح المنهج أو المسلك الذي اتبعه الأسلاف في تيسير النحو العربي وتبسيطيه ويرفع العقاب والصّعب، فقد دأبوا منذ القرن الثّاني الهجري إلى العصر الحديث (Dayf; (2) n.d.) ، بدون دعوة إلى حذف مسألة أو إلغاء قضية من قضاياها والتي دعوها المستشرقون وأعوانهم.

خاتمة

في هذه الجولة الطفيفة تحدث الباحث آراء العلماء القدامى، وبعض المحدثين في دعوة إلى تيسير النّحو العربي وتجديده، ثــمّ ذكرنا بعض العلماء الذين ألّفوا كتبًا نحويًّا ولغويًّا في هذه الدّعوة، ويثبت الباحث أنّ آراءهم المتضاربة تحتاج إلى النقاش والدّراسة النّقدية، ولذلك عرضنا آراءهم ونظرياتهم مع دراسة نقدية لكل رأيّ مستشهدًا بالقرآن الكريم الذي هو المصدر الأوّل المتفق عليه في تقعيد النّحو العربي.

REFERENCES

Abdul-alim Salim Mukram; 1965/1384). *al-Qur'anul-Kareem wa Atharuhu fiid-Dirasatin*-Nahwiyyah. al-Maktabatul-az'hariyyatu, Linnashir, Watawzeei.

Abdul-waha Hawmadi. (1992/1412). *Da'watun ila Tayseerin-Nahwil-Arabi. Majallatullugatil-Arabiyyat*, Bidmasq, al-Juz'ulawwal, Mujalladul-Hady, was-Sabun.

Adam Saeed Khaild. (2013). *al-I'irabul-Mahall-y wa MawqifulD-Daktari Shaqi Dayf Minhu, Majallatud-Dad. Majallatun Arabiyyatun Lugawiyyatun, Tasdiru*, An Shcubatil-Lugatil-Arabiyyati, Qismul-Lisaniyyat- Jamiatu Wilayati Nasarawa, Kefi, al-Adadu th-Thani, al-Mujallad Thani.

Aliyyu Naibi Suwaydi. (2008/1429). *Suwarun min Asbabi Mashakilin-Nahwil-Arabi; Dirasatun wa Tawjeeh*. Matba'ath Daril-Ummati liwakalati-l-Matbucati Kano-Nigeria, Attab'atul-Ula.

Ibn-Mudai al-Qur'taby. (1947). *ar-Raddu Alan-Nuhat*. Matba'atu Daril-Ma'arif, al-Qahira, At-Tab'atul-Ula.

Ibrahim Mustapha. (1937). *Ihyaun-Nahwi*. Matbaatu, Daril-Ma'arif, Bil-Qahirah, Attab'atul-Ula.

Jammalud-Deen Ibn Hisham. (1974/1394). *Awdahul-Masalik ila al-Fiyyati Ibn Maliki*. Matabaatu Daril-Fikri, Bairut-Lebana, Attab'atus-sadisat.

Kazeem Ibrahim. (2017/1438). *al-Iqduth-Thameen fii tarajimin-Nahwiyyeena fii Biladi Yoruba*. Matbatu Kewudamilola, Wilayatu Kwara, Nigeria, Attab'atul-Ula.

Kazeem Ibrahim. (2020/1442). *Wamdatun Satiatun fii Akhbaril-Umyani Min-Nuhati*. al-Mat'baatun-Nasiriyyat, Littibaati Wan-nashir, Wilayatu Jigawa, Attab'atul-Ula.

Muhammad Eid. (2002/1427). *Usulun-Nahiwil-Alarabi*. Abnau Wahbata Hassan, al-Qahirah, At-Tab'atul-Khamisat.

Muhammaduth-Thani Khamisu Darma. (2009/1431). *Professor Aliyu Naibi wa Nuzarauhu fiin-Nahwil-Araby, Dirastun-Naq'diyyatun Min Mazahiril-Lugatil-Arabiyyati wa Ad'adabuha fii Nigeria*. Maqalatun Academiyyah. Jam'atu Naiby Swayd.

Shaqi Dayf. (1961). al-Adabul-Araby l-Mu'asir fi Masr. Matbaatu, Daril-Ma'arif, Bil-Qahirah, Attab'atus-Sabiat.

Shaqi Dayf. (n.d.). *Tayseeruh-Nahwit-Ta'liimy Qadeeman wa hadeethan Ma'a Nahji Taj'deedih*. Matbaatu, Daril-Macarif, Bil-Qahirah, Attab'atuth-Thaniyah.

Sulayman Uthman Sulayman. (2012/1433). *an-Nahwul-Araby Baynal-mi-Traqati wal-Lisan*, Majallatul-Qirats. Tasdiru an Qismil-Lugatil-Arabiyyat, Kulliyyatul-Adab, Jamiatu-Wilayatu Kaduna, Nigeria, al-Adadul-Awwal.